

معروف

الدراسة المستصرية



370.956
M35mA

~~WHITE~~

~~1958~~

~~APR 12 58~~

~~APR 24 58~~

~~MAY 10 58~~

~~MAY 24 58~~

~~SAFETY~~

~~118 NOV 1~~

المدرسة

المسند لشيخنا
الشيخ محمد باقر
الكاظمي

الرسالة الاولى من رسائل

نادي المشاط

نامي معروف

مقوق الابع محفوظ للنادي

١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م

مطبعة دنكور الحمدية - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

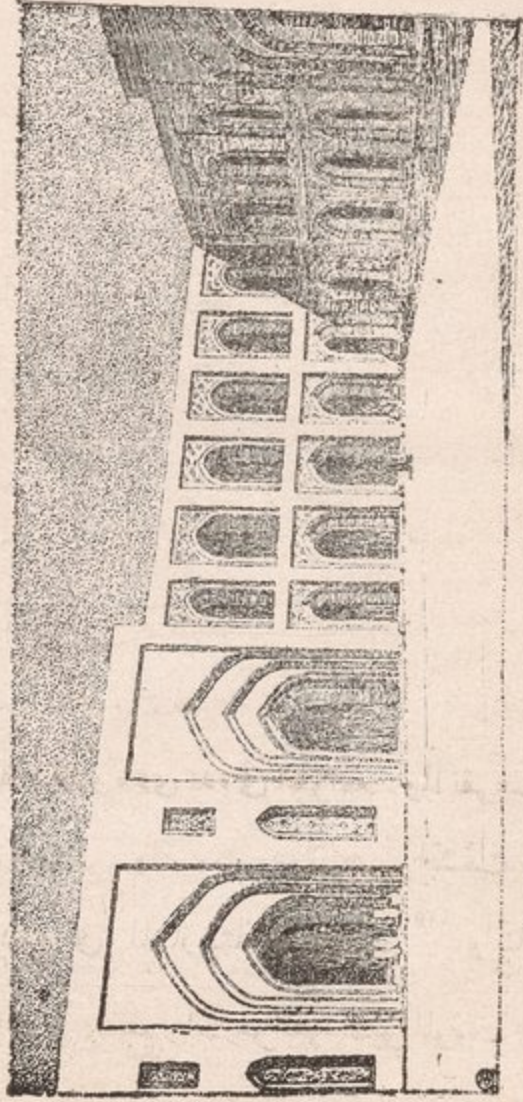
في البلاد العربية اليوم آثار عربية عظيمة القدر ، جليلة الخطر ، قد أصبح أكثرها نهياً مقسماً بين أيدي البلي ، وجهل الامة ، ومهربي الآثار . ولا سيما في العراق ؛ الأمر الذي أهاب بنادي المنى أن يضع نصب عينيه : العناية بالآثار العربية ، والمحافظة عليها بالمؤازرة مع دار الآثار العراقية ، والتفاهم مع أولى الأمر على ترميمها واصلاحها .

وكان أول ما راع النادي حالة « المستنصرية » التي تعد من أهم مفاخر اجدادنا ، وآثارهم الباقية في بغداد ، فألى على نفسه أن يجاهد في سبيل انقاذها من أيدي الدمار ويلفت نظر الحكومة والرأي العام الى وجوب الاهتمام بهذا الاثر العربي الجليل . وكانت باكورة هذا الكفاح هذه الرسالة المتواضعة التي يقدمها النادي الى محبذي فكرته من حاملي لواء القومية في هذه الربوع شاكرًا لدائرة الآثار تفضلها عليه بتقديم صور هذه الرسالة .

تامر معروف

المستنصر:

كلية « محكمة البناء ، راسخة في الماء ، فسيحة الأرجاء ،
وصفها غريب ، وحسن ترتيبها عجيب ، شائعة الى عنان السماء
تضحك شرفاتها بالسرور ، ويظهر في ابنتها الفرح والخبور ،
ويلمع العز في جوانبها ، ويطلع السعد من اساسها وأعالها
فهي كعبة الأنام ، وقبة الاسلام ، وجمع سائر
الدين ، ومذاهب المسلمين ، وعلم الاصول والفروع
المتفرق منها والمجموع ، وعلم الفرائض ، وأحاديث
الرسول ، ومعرفة الحلال والحرام ، وقسمة الفرائض
والتركات ، وعلم الحساب والمساحات ، وعلم الطب ، ومنافع
الحیوان ، وحفظ قوام الصحة ، وتقويم الابدان »^(١)



المدرسة المستنصرية زمن عمرائها: وضع المهندس بالله حجرها الاساسي

بغداد سنة ٦٢٥ هـ وتم بناؤها سنة ٦٣١ هـ

التعليم عند العرب

جاء النبي العربي بالقرآن الكريم ، فكان أول مربٍ عربي في الاسلام ؛ علّم الصحابة القرآن ، وهؤلاء علّموه الناس ، وحرص العرب على نشره بين الامم المختلفة لأنّه مرجعهم في التشريع والعبادة والاجتماع والسياسة ، ومن هنا كان فضل القرآن في انتشار التعليم .

أما المدارس الدينية ، والمعاهد العلمية ، ودور التربية فقد اتخذت بادىء ذى بدء في الجوامع . ولما تفرعت العلوم بتوالي الحقب ، واتسعت دوائرها انشئت حلقات التدريس في المارستانات والربط ^(١) والمنازل .

(١) الربط : جمع رباط وهو المعهد الديني الموقوف على الفقراء .

أما الأرستقراطيون من اهل الثراء والوجاهة فكانوا
يحضرون المعلمين والمؤدبين الى دورهم لتعليم اولادهم وتأديبهم.
ولما استوثقت الامور للعرب ، وفتحوا البلاد الواقعة
بين الصين والاندلس ، وجعلوا اللغة العربية لغة السياسة
والعلم والدين ، وورفت ظلال الحضارة العربية في دمشق ،
وبغداد ، والقاهرة ، وقرطبة بنوا المدارس المختلفة ،
فتفجرت فيها ينابيع الحكمة ونضج العلم وأثمر ، ونبغ عدد
عظيم من العلماء ، والاطباء ، والفقهاء ، والفلاسفة . وكان
العلماء يتمتعون بمنزلة سامية عند الخلفاء والملوك والأمراء ،
لارتباط السياسة بالدين ، حتى ان العلماء في اوائل الاسلام
شاركوا الخلفاء في النفوذ على العامة .

تلك كانت حالة الشرق العربي الاسلامي يفيض

بالحياة ، وينير العالم بنور العلم والحكمة ، ويموج بالمدارس والعماء . بينما كانت المدارس في اوربا مفقودة لا أثر لها ، والبلاد تتخبط في ظلام دامس ، وكان اعظم امبراطرة الغرب شارلمان ، لا يعرف من الكتابة الا توقيعيه .

مدارس بغداد في العصر العباسي

كانت بغداد في العهد العباسي رياضاً ناضرة، وربوعاً عامرة، انشئت فيها دور العلم للفقهاء ، وبُنيت المدارس للعلماء والادباء ، واسست الرُّبُط للعباد والزهاد، وأهل الصلاح والفقراء . وأجريت الجرايات والنفقات عليهم ؛ حتى روي : ان ما كان ينفقه نظام الملك في السنة في هذا السبيل بلغ ٦٠٠،٠٠٠ دينار. وروي أن أبا الحسن علي بن محمد

وزير المقتدر بالله العباسي كان يجري الرزق على خمسة
آلاف طالب من اهل العلم والدين، ولذلك أمّ بغداد طلاب
العلوم من كل فج و صوب فدرسوا في معاهدها العلمية
التي كانت مبعثرة في جوامعها أو يجوار مساجدها في جميع
احياءها ومخلائها. وإليك اسماء بعض هذه المعاهد :

- (١) بيت الحكمة أو دار العلم : هي أقدم مدارس العراق
وجامعاته ، وضع الرشيد أسسها في بغداد وعظم شأنها
زمن المأمون وطالت حياتها الى زمن ابي العلاء المعري .
(٢) النظامية : انشأها نظام الملك الطوسي على
شاطئ دجلة سنة ٤٥٧ هـ . وبني حولها اسواقاً وقفها عليها
مع كثير من الضياع والخوانات والحمامات ^(١)
(٣) البطانية : كان فيها من الكتب ما بلغت

فهارسها « ٣٦٠ » مجلداً، وعدد خزائنها (٥٠) شخصياً ، وعدد
 غرفها اربعة آلاف حجرة ، وجراياتها في اليوم الواحد
 عشرون رغيفاً ، وعشر بقريات ، ومئة كبش . ومرتب
 مدرستها الشيخ « قوام الدين » مئة رغيف ، وكبش
 واحد ، وخمسون درهماً في اليوم ^(١)

(٤) التاجية : بنيت سنة ٤٨٢ هـ ، بناها تاج الدين
 ابو الغنائم المتولي لتدير دولة ملكشاه بعد نظام الملك .

(٥) التتشية : بناها « خمار تكين » خادم تتش
 بن الب ارسلان بن داود بن ساجوق لأصحاب ابى حنيفة .
 (٦) مدرسة باب الأزج ^(٢) : بنيت لأبى المحاسن يوسف
 بن رمضان الدمشقي .

(١) المشرق السنة ١٠ ص : ٣٨٨ .

(٢) الأزج : طاق معقود .

(٧) مدرسة باب الأُرج النابذة: بنيت لثقة الدولة أبي الحسن علي بن محمد القزويني

(٨) مدرسة ابن دينار: بنيت لأبي حكيم إبراهيم بن دينار البغدادي الفقيه الشافعي.

(٩) مدرسة زَيْرُكْ أو مدرسة سوق العمير: مدرسة للحنفية درس فيها القاضي عبد السلام اللامغانى الفقيه الذي ولد بمحلة أبي حنيفة وتوفي في شهر رجب سنة ٦٠٥ هـ ودفن بمقبرة الخيزران بظاهر أبي حنيفة « الأَعْظَمِيَّة اليوم ».

(١٠) المدرسة الشرايية: أنشأها شرف الدين إقبال الشراي سنة ٦٢٨ هـ على عهد المستنصر بسوق العجم بالشارع الأعظم بالقرب من عقد سور السلطان مقابل درب

الملاحين^(١)

(١١) المدرسة البهائية : كانت مجاورة للنظامية

(١٢) المدرسة الشاطئية : ورد ذكرها في كتاب الحوادث
الجامعة .

(١٣) المدرسة البهيرية : ^(٢) فتحت يوم الخميس في ١٣ جمادى
الآخرة سنة ٦٥٣ هـ بالجانب الغربي ، أمرت يدناها حظية
المستعصم ، وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة ووقفت عليها
وقوفاً كثيرة ، وحضر الخليفة وأولاده يوم الافتتاح .

(١٤) مدرسة الأصحاب بناها ثقة الدولة بن الأنباري .

(١٥) المدرسة المجاهدية

(١٦) مدرسة فخر الدولة بن المطلب ٠٠٠ الخ

(١) لعلها في باب المعظم الحالية .

(٢) الحوادث الجامعة أخبار سنة ٦٥٣ ص : ٣٠٧

المستنصر بالله أبو جعفر ^(١)

٦٢٣ هـ ، ١٢٢٦ م — ٦٤٠ هـ ، ١٢٤٢ م

كان الناصر لدين الله العباسي يقرب اليه حفيده الفتي منصور بن الظاهر بأمر الله ، ويسميه : القاضي هدهد ، وعقله ، وإنكار ما يجده من المنكر ^(٢) .

ولد هذا الفتي النابغ في صفر سنة ٤٨٨ هـ فشب مولعاً بالعلم في كنف أبيه وجده الناصر لدين الله ، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه الظاهر بالله في شهر رجب سنة ٦٢٣ هـ . وجاء عنه في كتاب « الفخري » لابن الطقطق ما يأتي : « كان المستنصر شهياً جواداً ، يباري

(١) ينتهي نذبه الى المتوكل على الله حفيد هارون الرشيد

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ٣٠٦

أريح كرمًا وجوداً ، وكانت هباته وعطاياه أشهر من أن يدل عليها ، وأعظم من أن تحصى ، ولو قيل : إنه لم يكن في خلفاء بني العباس مثله لصدق القائل ، وله الآثار الجليلة ، منها : وهي أعظمها ، «المستنصرية» وهي أعظم من أن توصف ، وشهرتها تغني عن وصفها ، وكان المستنصر يقول : إني أخاف أن الله لا يشينني على ما أهبه وأعطيه ، لأن الله تعالى يقول : «لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون» وأنا - والله - لا فرق عندي بين التراب والذهب ^(١)

وجاء عنه في كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ^(٢) «نشر العدل في الرعايا ، وبذل الانصاف في القضايا ، وقرب أهل العلم والدين ، وبني المساجد ، والرُّبُط ،

(١) الفخري ص : ٢٩٢ (٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ٣٠٦

والمدارس ؛ والمارستانات ^(١) . وكف الفتن ؛ وحمل
 الناس على أقوم سنن ، وقام بأمر الجهاد احسن قيام ، وجمع
 الجيوش لنصرة الاسلام ، وحفظ الثغور ، وافتتح الحصون «
 » اجتمعت القلوب على محبته والالسن على مدحه « وكان
 ذاهمة عالية وشجاعة ، وإقدام عظيم «
 وقصد التتار العراق فلقبهم جنده فهزموا التتار هزيمة
 منكرة . وكان له أخ يقال له : الخفاجي كان شهيداً شجاعاً ،
 وكان يقول : لن وليت لأعبرن بالعسكر نهر جيحون ،
 وأخذ البـلاد من ايدي التتار وأستأصلهم . فلما توفي
 المستنصر لم ير بعض رجال الدولة تقليد الخفاجي الأمر ،
 وخافوا منه ، وآثروا المستعصم لدينه وانقياده ليكون
 لهم الأمر .

وفاة المستنصر : وتوفي المستنصر بالله بكرة الجمعة
 ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هـ عن إحدى وخمسين سنة
 وأربعة أشهر وسبعة أيام ودفن في الدار المثمنة بدار
 الخلافة على شاطئ دجلة . ولم يمض على دفنه بضعة
 وثلاثون يوماً حتى نقلوه الى موضع كان قد أعده
 مدفناً لنفسه ، وبني عليه قبة ^(١)

ويميل العلامة الآلوسی الى ان قبره اليوم في
 جامع الأصفية عند رأس الجسر القديم عن شمال الداخل
 في الرواق في سَرَب ^(٢) من الارض عقدت عليه قبة
 موازية لأرض المسجد في غاية من الاتقان والرصانة

« ١ » الحوادث الجامعة ص ١٥٥ ، وص : ١٧١

« ٢ » السرب: حفير تحت الارض

وينفي ان هذا القبر مرقد لأبي الحارث المحاسبي أو الكليني
 فيقول: «وكان هذا المسجد من مرافق المدرسة ومتماتها،
 فمن المحتمل ان يدفن فيه باني المدرسة المذكورة بل هو
 الظاهر المتعين» ^(١)

عصر المستنصر

تربع المستنصر على أريكة الخلافة العباسية فازدهرت
 رياض العلوم والآداب ، وبنيت المدارس والمساجد
 وشجعت الحركة الرياضية وعُني بالفتوة فانتشرت في البلاد،
 وتشرف الناس بلباسها، وشملها الخليفة وأكابر رجال الدولة
 برعايتهم فكان لها مقام رفيع ومنزلة سامية .
 والفتوة بمثابة الكشف اليوم : كان لها نقيب من اشراف

القوم يطلق عليه « نقيب الفتوة » . ولباس الفتوة سراويل عليها صورة كأس ، ينعم بها على الوجود والأمراء والملوك ، فقد ذكر ان امير المدينة « منيفاً » قدم بغداد فشرّف بلباس الفتوة وخلع عليه نيابة عن الخليفة . وكذلك أنعم شرف الدين إقبال الشرايبي على عبدالله بن عبدالرحمن المغربي المدرس بالمدرسة المستنصرية بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة . وقد لبس كثير من الملوك والأمراء لباس الفتوة . وشرّبوا كأسها في هذا العصر .

اعمال المستنصر العمرانية

جاء في كتاب الحوادث الجامعة اخبار كثيرة عن الاعمال العمرانية التي تمت على عهد المستنصر في سني خلافته اليك اهمها :

١- في سنة ٦٢٦ هـ تم بناء مسجد «قرية»^(١) بالجانب الغربي

على شاطئ دجلة مقابلاً للرباط البسطامي، ونقلت إليه

الفرش والآلات، وقناديل الذهب والفضة والشموع،

وغير ذلك، واثبت فيه ثلاثون صبيًا يتلقنون القرآن .

وجعل فيه خزانة للكتب حمل إليها كتب كثيرة^(٢)

٢- عمرت مساجد الكرخ بعد أن تهدمت في غرق اصاب

بغداد شرقيها، وغربيها سنة ٦١٤ هـ ورتب فيها الأئمة .

٣- تـ. كامل بناء سدور الرصافة .

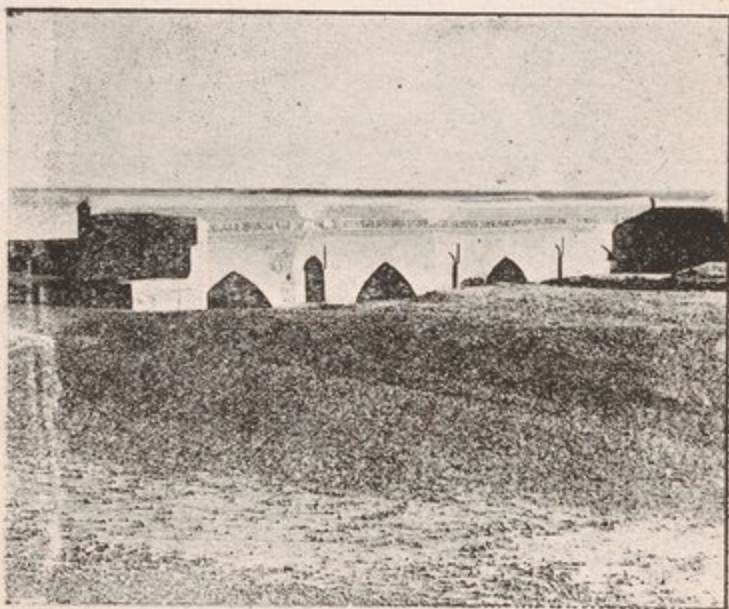
٤- في سنة ٦٢٨ هـ طلب الخليفة الى زعيم البصرة ان

يعمر جامعها . وان يحكم تشييده . وينشئ فيها مارستاناً

(١) هو اليوم قرب متوسطة الكرخ، وتقام فيه صلاة الجمعة .

(٢) الحوادث الجامعة ص : ٤

- ٥- وفي سنة ٦٣٠ هـ فتحت دور الضيافة بجانب مدينة السلام جرياً على العادة في كل سنة ، وزيد فيها داران آخرين .
- ٦- وفي سنة ٦٢٩ هـ بنيت قنطرة حربي على نهر الدُّجَيْل وهي لا تزال ماثلة الى اليوم وعليها كتابة من الجانبين بخط جميل



صورة (٢) منظر عام لقنطرة حربي في الوقت الحاضر

الكتابة التي على قنطرة صربي

أمر بإنشاء هذه القنطرة المباركة تقرباً إلى الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً ؛ وطلباً للفوز بجنت الفردوس التي أعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلاً سيدنا ومولانا الامام أمير المسلمين ووارث الانبياء والمرسلين ، وخليفة رب العالمين وحجته البالغة على الخلائق أجمعين ؛ الذي أيد الله تعالى باعزاز نصره الدين ، وفرض طاعته على الخليقة من البادين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ؛ مكن الله له في أرضه تمكين الوارثين ؛ ورفع مقدس أعماله الصالحات إلى عليين . ونشر بعدله الزاهر في آفاق الارضين وأوضح للخلائق بولايته سبيل الرشاد ، ومنهج الحق المبين ، ابن الامام السعيد والبر التقي أبي محمد الظاهر بأمر الله ابن الامام السعيد الزكي الطاهر الوفي أبي العباس الناصر لدين الله ابن الامام السعيد الزكي أبي محمد الحسن المستضيء بنور الله ... الذين قضوا بالحق وكانوا يعدلون ، صلوات الله عليهم أجمعين وذلك في سنة تسع وعشرين وستمئة ؛ وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .



صورة (٣) صورة أخرى لقنطرة حرّبي^١

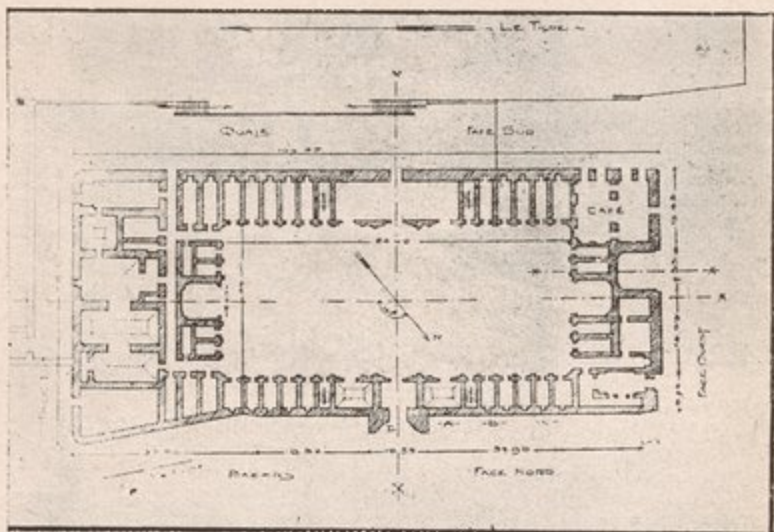
المدرسة المستنصرية

على ضفة دجلة اليسرى اليوم عند الجسر القديم بناية ضخمة كانت مبعث الحكمة والعلم . وموئل الفضيلة والآداب . وملاذ العلماء والفلاسفة ، وكعبة الوافدين من الاقطار الاسلامية . بناها الخليفة المستنصر بالله وجاب لها المهندسين الماهرين وكبار الصناع الفنانين فخططوا التصاميم ، وقدروا المقاييس وشرع البناءون في البناء سنة ٦٢٥ هـ ، ووضع الخليفة حجرها الاساسي ، واستمر البناء حتى جمادى الآخرة سنة ٦٣١ هـ ١٢٣٤ م ^(١) ثم :

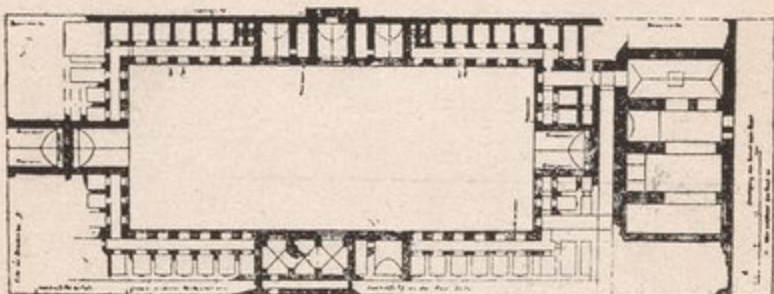
« كسيت بأفخر الملابس ، فتجلت كأحسن العرائس »

(١) كل الكتابات على جدران المستنصرية تنبئ انها تمت

سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) بينما ولسترنج ص ٢٦٦ وكل المصادر العربية تذكر انها تمت سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٤ م) .



صورة (٤) خارطة المدرسة المستنصرية - عن هرتسفلد -



صورة (٥) خارطة ثانية للمدرسة المستنصرية .

ورُتّب لها البوابون ، والفراشون ، والخدم ،
والطباخون وغيرهم .

وفي يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ٦٣١ هـ
ركب نصير الدين أحمد بن الناقذ ، نائب الوزارة على عهد
المستنصر ، وقصد دار الخلافة ، واجتاز بها الى دجلة ، ونزل
في شبّارة مُصعداً الى الدار المستجدة المجاورة لهذه
المدرسة ، وصعد اليها وقبل عتبتها ، ودخلها ، وطاف بها ،
ودعا لما لكها .

وكان معه مؤيد الدين بن العلامة الذي تولى عمارتها
فخلع عليه وعلى أخيه وعلى حاجبه ، وعلى المعمار والفراشين
في الدار المستجدة ، وعلى مقدمي الصنائع وغيرهم ^(١)

افتتاحها : وفي يوم الخميس ١٥ شهر رجب سنة ١٣٣١ هـ
افتتحت المدرسة باحتفال عظيم حضره الخليفة ، والعلماء ،
والامراء ، واعيان القوم ووجوههم ، وحضر الى المدرسة
نائب الوزارة ، وسائر الولاة والحجاب ، والقضاة ، والمدرسون ،
والفقهاء ، ومشايخ الربط ، والصوفية ، والوعاظ ، والقراء ،
والشعراء ، وجماعة من التجار الغرباء ، وتُخِير لكل مذهب
من طلاب المدارس وغيرهم اثنان وستون نفساً ، ورُتِب
لها مدرسان وخلع على كل واحد منهما جبة سوداء وطَرَحَةٌ^(١)
كحلية ، وأُعطِيَ بغلة بمركب جميل وعدة كاملة ، ورتب لها
ايضاً نائباً تدريس ، وخاع عليهما وعلى جميع المعيدين وعلى
جميع التلاميذ المتفقهين ، ثم خلع على المتولين لامهارة والصناع
والحاشية ، وعلى أمناء دار الكتب .

ثم مدَّ سَماط عَظيم في صَحن المَدرسة فـ كان فيه
 من الأَشربة، والحلواء ، وأنواع الأَطعمة ما يَجاوز حد الكثرة
 فتناوله الحاضرون « تعبئةً وتَكويراً » ثم أفيضت الخلع
 على الحاضرين من المدرسين ، ومشايخ الربط ، والمعِدين
 بالمَدارس ، وعلى الشُعراء والتجار الغُرباء ^(١)

وبعد ذلك قُسمت الأرباع فأعطى رَبع القِبلة الأيسر
 للحنفية ، ورَبعها الأيمن للشافعية ، والرَبع الثالث يَمِنة الداخل
 للحنابلة والرَبع الرابع يَسرة الداخل للمالكية واسمُكنت
 بيوتها وغرفها ، وأَجري لَهم الجَراية الوافرة عملاً بشرط
 الواقف . ثم نهض أرباب الدولة ، والحاضرون ، وكان الخليفة

يومئذ جالساً في الشباك الذي في صدر الايوان ينظر جميع
 ما جرت الحال عليه . ^(١) وكان هذا اليوم المشهود مثيراً
 لقرائح الشعراء والخطباء فتباروا في انشاد المدائح
 وإلقاء الخطب ، وكان ممن انشد يوم افتتاحها - الحسين
 الكوفي حيث قال : ^(٢)

سمعاً أمير المؤمنين	ن لمدحتي وثنائها
لاك مكة وجميع ما	يأوي الى بطحائها
بسقت بفرعك هاشم	وسموت في عليائها
عمرت مدرسة أمر	ت بسمكها وبنائها
أسرت عيون الناظر	رين بحسنها وبهاؤها

(١) الحوادث الجامعة ص : ٥٨ وخلاصة الذهب المسبوك ص ٢١٢

(٢) مساجد بغداد للأكوسي ص ٩٠

ليست مدارس مَنْ مَضَى في الحسن من نضرائها
ووسمت بالمستنصر ية منتهى اسمائها
سمة مقدسة لـ ضمنت حروف هجائها
فخلدت مثل خلودها وبقيت مثل بقائها
وأُشِدَّ ابن ابى الحديد المدائني الفقيه الشافعي^(١) من قصيدة :
ما مُثِّلَ الفلك العظيم لمبصرٍ
في الارض قبل إِيالة المستنصرِ
هذا بناءٌ معرب عن قدرة
رُفِعَتْ قواعده بفعل مطهر
حسدت به الارض السماء ولم يزل
حسدُ الفضائل من طباع العنصر

(١) هو شارح نهج البلاغة في عشرين جزءاً شرحاً جيداً

انظر تجمد نظم الثريا في ذرى

شرفاته وضياء نور المشتري

ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه

ورأى الصواب وذاك بعد تحير

فالأفق بين مذهب ومفضض

والجوين مكوفرٍ ومعنبر

والأرض حاسرة القناع كأنها

خَوْدٌ تَبَرَّجُ في رداءٍ اخضر

ترهو بما عمر الخليفة فوقها

علماً لاح—كام البشير المنذر

بالجانب الشرقى بالشاطى الذي

هو طور سيناء كل صاحب منبر

ما حقّ دجلة ان تفوه بلفظة

قُهرت ، وأي مساجل لم يُقهر

غلب العطاء الماء فيها وانثى

سداً يفوق صناعة الاسكندر

إن اصبحت بحراً فان بنائه

بإفاضة المعروف خمسة البحر

وضع الامام بها اساس بنائه

والموج بين مججم ومزجر

قصرًا ومدرسة لمن طلب الغنى

أورام شأو العالم المتبحر

هي جنة الفردوس يجري تحتها

من ماء: دجلة ماء نهر السكوتر

حسبناؤها درُ النظام وترها

مسك الجنوب وطينها كالعنبر

لبس الغبي بها شهامة ماهر

وغدا المقلُّ مزاحماً للمكثر

لم تخل من حَبْرٍ وشيخ فاضل

يروى الحديث وساجد ومُعَفَّر

قد كانت الفقهاء قبل بنائها

في كل قطر واحد لم يذكر

فِرَقاً يشق على المرید طلابها

في الشرع والمطلوب كالمتعذر

فاليوم قد جمعت أمور الدين في

أرجائها وأزيل عذر المقصر

مخبريات المدرسة المحتشمة

إن هذه الكلية الكبرى اشتملت على مبان متعددة وقاعات رحبة ، وردحات فسيحة ، ومرافق مختلفة منها : —
 أربعة أواوين لتدريس الفقه ، لكل مذهب إيوان فيه المسجد ، وموضع التدريس ، وقبة صغيرة فيها كرسي عليه البسط لجلوس المدرس ^(١)

ودار للكتب ، وفي ضمنها محل خاص لدراسة الحديث ، وقاعة لتعليم الفرائض والرياضيات ، وبناية أخرى مستقلة تجاه المدرسة خاصة بالعلوم الطبيعية تتبعها صيدلية فاخرة ، وإلى جنبها محل لفحص المرضى ، ومداواتهم .

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٤١ و Le Strange P. 268

وكان في المدرسة حمام خاص بالطلاب، ودار الوضوء^(١)
وبیمارستان^(٢) ومطبخ ، وغرف كثيرة أعدت لسكنى
الطلبة، ومخزن لخزن الطعام والشراب والادوية^(٣) ومزملة
للماء البارد العذب .

دولاب الماء: وفي سنة ١٢٧٠ هـ عمل دولاب تحت مسننة
المستنصرية ، يقبض الماء من دجلة ويرمي به الى مزملتها ثم
يجرى تحت الارض الى بركة عملت في صحن المدرسة، ثم يخرج
منها الى مزملة عملت تجاه ايوان الساعات ، خارج المدرسة .

أوقاف المستنصرية

وقف المستنصر عليها أوقافاً كثيرة منها: الدور، والخانات

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٤١ ، المشرق السنة ١٠ : ٣٩٢

(٢) البيمارستان : المستشفى Le Strange P. 268

(٣) Le Strange. P. 268 .

والقرى، والرابع . وقيل ان قيمة ما وقف عليها بلغ الف الف دينار و «بلغ ارتفاع وقوفها في السنة نيفاً وسبعين الف مثقال» ^(١) . وكانت هذه الاموال العظيمة تصرف على خزانة الكتب ، وعلى المدرسين ، والطلاب ، لأن عدد طلاب هذه المدرسة كان عظيماً ، فقد بلغ عدد طلاب القسم الداخلي فيها (٣٠٠) فقيه لكل استاذ (٧٥) طالباً ^(٢) رتبت لهم المساكن المفروشة بالسجاد النفيس ، وانواع المأكول والمطاعم ، ووسائل الراحة ، وما يلزم الكتابة والدرس وكان الطالب يتقاضى ديناراً ذهباً ^(٣)

مكتبة المستنصرية

كان المستنصر « منعكفاً على نقل الكتب ، حريصاً

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ٣٠٦

(٢) Le Strange P. 267 (٣) Le Strange P. 267

على ذلك ، حسن الخط ، صحيح الضبط ^(١) « بلغ من غرامه
 بالعلوم والكتب أنه أنشأ في المستنصرية خزانة للكتب
 أودعها ثمانين ألف مجلد ^(٢) ، ونقل إليها في يوم افتتاح
 المدرسة من الرِّبَّعات ^(٣) الشريفة والكتب النفيسة ما حمَّله
 مئة وستون حملاً ^(٤) .

وجاء في خلاصة الذهب المسبوك أن ما نقل الى
 المستنصرية من الاصول المضبوطة المحتوية على جميع العلوم
 كان مئتين وتسعين حملاً سوى ما نقل اليها بعد ذلك ^(٥)
 منها الاسفار النادرة ، والمخطوطات الروائع في جميع

(١) مساجد بغداد ص: ١٠١ (٢) لغة العرب ج ٦ سنة ٥ ص: ٣٤١ .

(٣) صندوق فيه اجزاء المصحف وهي كلمة مولدة من اصطلاح اهل بغداد

(٤) الحوادث الجامعة ص: ٥٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٦

(٥) خلاصة الذهب ص: ٢١١

العلوم والآداب والفنون والصنایع . وجعل لها خازناً ماهراً
 بصناعة ترتيب الكتب وتبويبها حسب فنونها ليسهل
 على المطالعین تناولها ، وتولى هذا الامر الشيخ عبد
 العزيز وولده ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب
 المستنصر التي في داره ، ثم عين للخدمة في هذه
 الخزانة خازن ، ومُشرف ، ومناول فالخازن هو : الشمس
 على ابن الكتبي ، والمُشرف هو : العماد على بن الدباس ،
 والمناول هو : الجمال ابراهيم بن حذيفة .

وروي عن انتظام ^(١) هذه المكتبة ان الباحث كان
 يستطيع بسهولة تامة ان يراجع اى كتاب اراده في المواضيع
 العلمية والادبية بدون ادنى عناء وبدون ان يأخذ شئ
 من الوناء . واذا اراد احد التلاميذ ، أو بعض الكتبة

نسخ بعض مصنفات تلك الخزنة في جميع الأبواب
فان الموظفين كانوا يمدونه بما يحتاج اليه من الخبر
والورق والقلم مجاناً^(١)

ساعة المدرسة المستنصرية

من أعاجيب هذه الكلية الكبرى ساعتها الفنية
الدقيقة فهي مظهر من مظاهر الحضارة العربية ببغداد ،
و « منقبة لم يسم اليها الاولون »^(٢) وهي اليوم في ضمير
الغيب سر مكنون . وتفصيل امرها هو انه في سنة
٦٣٣ هـ . تكامل بناء الايوان الذي انشئ مقابل المدرسة
المستنصرية ، وعمل تحته صفة فاخرة^(٣) وجعل فيها

(١) المشرق السنة ١٠ ص ٣٩١ و Le Strange. P. 267

(٢) خلاصة الذهب المسبوك ٢٨٢ (٣) موضع مظل

طبيب حاذق ، واثبت عنده عشرة من الطلبة يشتغلون
 عليه بعلم الطب ويقصد اليه المرضى فيداويهم . وبني
 في حائط هذه الصفة دائرة عجيبة ، صورت فيها
 صورة الفلك ، وجعل فيها طاقات لطاف لها ابواب
 لطيفة ، وفي الدائرة بازان من ذهب واقفان في
 طاستين من ذهب ، ووراءهما بندقتان من شَبَه^(١) لا
 يدركهما الناظر ، فعند مضي كل ساعة يفتح فها البازي وتقع
 منهما البندقتان ، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب
 تلك الطاقات والباب مذهب فيصير حينئذ مفضضاً ،
 واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما .
 ثم تطلع شمس من ذهب في سماء زرقاء لا زوردية في

ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دوراتها وتغيب مع غيوبتها ، فإذا غابت الشمس فهناك اثار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يبتدىء في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فتعلم بذلك اوقات الصلاة . وقد انطلقت السن الشعراء في مدح الخليفة ووصف هذه الساعة العجيبة منهم عبد الرحمن ابن الجوزي حيث قال :

يَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ يَا مَا لَكَ

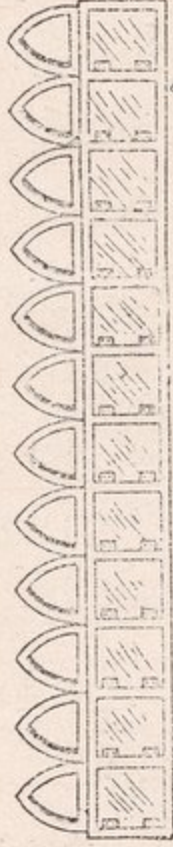
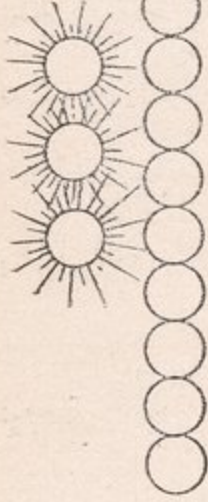
بِرَأْيِهِ صَعْبُ اللَّيَالِي يَهُونُ

شَيْدَتَ لِلَّهِ وَرِضْوَانِهِ

أَشْرَفَ بَنِيانٍ يَرُوقُ الْعَيُونُ

إِيْوَانِ حَسَنِ وَضَعِهِ مَدْهَشِ

يَحَارُ فِي مَنْظَرِهِ النَّاظِرُونَ



صورة (٦) ساعة المستنصرية عملها علي بن ثعلب الشامي الاصل البغدادى
المنشأ المعروف بابن الساعاتي، وهي تعين الاوقات ليلاً ونهاراً. «الخلال يونيو ١٩٣٣»

صُورٌ فِيهِ فَلَكَ دَائِرٌ وَالشَّمْسُ

سَ تَجْرِي مَالَهَا مِنْ سَكُونٍ

دَائِرَةٌ مِنْ لَازَوْزِدٍ حَكَتْ

نَقْطَةً تَبْرٍ فِيهِ سُرٌّ مَصُونٌ

فَلَكَ فِي الشَّكْلِ وَهَذِي مَعًا

كَمَلْ هَاءٌ رُكْبَتٌ وَسُطُنُونَ

وَأَنشَدَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ الْفَقِيهَ الشَّافِعِي مَا يَلِي :

مَا مِثْلُ الْفَلَائِكِ الْعَظِيمِ لِمَبْصَرٍ

فِي الْأَرْضِ قَبْلَ إِيَالَةِ الْمُسْتَنْصَرِ

انْظُرْ تَجِدَ نَظْمَ الثَّرِيَا فِي ذَرَا

شُرَفَاتِهِ ، وَضِيَاءَ نَوْرِ الْمُشْتَرِي

ضُحُوكِ الزَّمَانِ وَذَاكَ بَعْدَ عُبُوسِهِ وَرَأَى الصَّوَابَ وَذَاكَ بَعْدَ تَحْيِيرِ

فَالْإِتْفَاقِ بَيْنَ مَفْضُضٍ وَمَذْهَبٍ وَالْجَوِّ بَيْنَ مَكُوفٍ وَمَعْنَبِ

نظام المدرسة المتفكرية *

شرط الواقف على هذه المدرسة ما يلي :

- ١ - ان يكون عدد الفقهاء (٢٤٨) ، من كل مذهب اثنان وستون ، بالمشاهرة الوافرة ، والجارية الدارة ، واللحم الراتب ، والمطبخ الدائر الى غير ذلك من الخلاء والفواكه ، والصابون ، وانفرش والبزر ، والنعهد ،
- ٢ - ان يكون لكل مذهب مدرس واربعة معيدين وان يكون لكل مدرس في كل يوم عشرون رطلا من الخبز ، وخمسة ارطال من اللحم بخضرها وحوائجها وخطبها وفي كل شهر اثنا عشر ديناراً ، وان يكون لكل معيد

* الحوادث الجامعة ص : ٥٨ ، خلاصة الذهب المسبوك ص : ٢١١ ،

المشرق ج ٥ ص : ١٦٦ ، مساجد بغداد ص : ٨٧ - ٨٩ .

في كل يوم سبعة ارطال خبزاً ، وغرافان ^(١) طبيخاً وفي
كل شهر ثلاثة دنانير .

٣ - ان يكون في دار الكتب التي في الخزانة شيخ
عالي الاسناد ، وقارئان وعشرة طلاب يشتغلون بعلم
الحديث النبوي ، وان يقرأ الحديث في كل يوم سبت ،
واثنين ، وخميس من كل اسبوع على ان تكون لهم الجراية
والمشاهرة والتعهد اسوة بالفقهاء .

٤ - ان يكون لخازن الكتب في كل يوم عشرة
ارطال خبزاً واربعة لحماً وفي كل شهر عشرة دنانير ،
وان يكون للمشرف على هذا الخازن في كل يوم خمسة
ارطال خبزاً ، ورطلان لحماً ، وفي كل شهر ثلاثة دنانير ،

(١) الغراف: مكيال ضخم

وان يكون للمناول في هذه الخزانة في كل يوم اربعة ارطال خبزاً وغراف طبيخاً وفي كل شهر ديناران .

٥ - ان يكون في الدار التي الى جانب هذه المدرسة ثلاثون صبيّاً ايتاماً يتلقنون القرآن الكريم من مقررٍ مآقن متقن صالح ، وأن يكون معه معيد يحفظهم التلافين ولهم من الجراية ، والمشاهرة ، والتعهد ما للمشتغلين بعلم الحديث .

٦ - ان يكون بها من كل مذهب إمام يصلي بهم ، وقارئٌ للسبعة ، وداعٍ يدعو . وأن تضاعف المشاهرات في رمضان وان يكون للناظر المرتب بها في كل يوم عشرون رطلاً خبزاً وخمسة ارطال لحماً بحوائجها وخضرها ، وحطبها - وفي كل شهر اثنا عشر ديناراً

والمشرف في كل يوم عشرة ارطال خبزاً وثلاثة ارطال
لحمًا وفي كل شهر سبعة دنانير ، وللكاتب في كل يوم مثل
المشرف . ومعمارية ، وفراشون ، وبوابون ، وحمامي
ومزين ، وقِيم ، وطباخ وغلام ، وخازن الآلات ، وخزانة
الديوان ، وغلمان الديوان ، ومزملاتي ، ومؤذن ونفّاط
وقرر لهُؤلاء كلهم جريات ومشاهرات

٧ - ان يرتب فيها طبيب حاذق مسلم ، ويثبت
عنده عشرة طلاب من المسلمين يشتغلون عليه في علم
الطب ، وان تعطى لهم الاكحال السائلة ، ويوصل اليهم
ما يوصل الى الفقهاء والمحدثين ، وان يطبب الطبيب من
يعرض له مرض من ارباب هذا الوقف ويزور المرضى
كل صباح ويصف لهم العلاج ويطيهم ما يحتاجون

اليه من ادوية وأشربة^(١) وغير ذلك .

٨ — ان يكون بها من يشتغل بعلم العربية ، والتاريخ
وعلم الفرائض وعلم الحساب ، وان يدرس فيها علم
الاصول ، وعلم القوافي ومعرفة الحلال والحرام ، وقسمة
التركات ، وعلم المساحة ، ومنافع الحيوان والنبات ،
وحفظ قوام الصحة ، وتقويم الأبدان .

٩ — ان لا يخطب بها في صلاة العيدين الا هاشمي
عباسي^(٢) .

(١) Le Strange P. 268

(٢) الحوادث الجامعة ص : ٣٨٥

طريقة التعليم في المستنصرية

جاء في رحلة ابن بطوطة عند زيارته المدرسة المستنصرية الفقرة التالية يذكر كيفية التعليم فيها « يقعد المدرس ، وعليه السكينة والوقار ، لباساً ثياب السواد ^(١) معتماً ، وعلى يمينه ويساره : معيدان يعيدان كل ما عليه » ^(٢) .

فالتعليم اذن ملقى على عاتقي المدرس والمعيد . والمدرس هو استاذ (Professor) ^(٣) ارقى درجة من العلم والمؤدب الذين كان يقومون بتعليم الأطفال — وتأديهم ، والمدرس كما عرفه صاحب صبح الأعشى

(١) العمامة والجبّة والطيلسان : هي شارات العرب العلمية و يروى ان الامام ابا يوسف اول من اتخذ للعلماء زياً خاصاً .

(٢) ابن بطوطة ج ١ : ١٤١ (٣) Le Strange P. 268

« هو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو والتصريف وغير ذلك » أما المعيد (Assistant) ^(١) فمقامه يأتي بعد مقام المدرس مباشرة . و « أصل موضوعه انه اذا لقي المدرس الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما القاه المدرس اليهم ليفهموه ويحسنوه » ^(٢)

ومن وظائف المعيد وصفاته التي يذكرها الدكتور خليل طوطح في كتابه « التربية عند العرب » نقلا عن « تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة الكنعاني : ان يكون « من صالحاء الفضلاء أو فضلاء الصالحاء ، صبوراً على اختلاف الطلبة ، حريصاً

(١) Le Strange P. 269 (٢) صبح الأشرى للقلقشندي ج ٥ ص : ٦٤

على إفادتهم ، قائماً بوظيفة اشتغالهم وينبغي
 للمعيد في المدرسة ان يقدم اشتغال أهلها على غيرهم
 في الوقت المعتاد أو المشروط إذا كان يتناول معلوم^(١)
 الاعادة لانه يتعين عليه ما دام معيداً وان
 يطالبهم بعرض محفوظاتهم ممن لم يعين لذلك غيره ،
 ويعيد لهم ما توقف فهمه عليهم من دروس المدرس ،
 ولهذا سمي معيداً »^(٢)

وقد اضطر المدرسون والمعيدون الى استعمال
 اسلوب التلقين لعدم توافر الكتب المدرسية والمعاجم
 ودوائر المعارف وغيرها لديهم ، وبما أنه لم يكن من
 الكتاب الا نسخة واحدة بيد المدرس اضطر هذا ان

يملي على طلابه محتويات نسخته . وكان هذا الاملاء
او التلقين من وظائف المعيد ولا شك ان مجال المناقشة
والمحاورة كان مفتوحاً أمام الطلاب والاساتذة ، فقد
ذكر بعض المربين أنه « لابد لطالب العلم من المذاكرة
والمناظرة والمطارحة ، فان المناظرة والمذاكرة مشاورة ،
والمشاورة انما تكون لاستخراج الصواب » ولأن فائدة
المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار »

اول اساتذة المستنصرية

عين في المدرسة المستنصرية يوم افتتاحها مدرسان ونائبا
تدريس أما المدرسان فهما :

- ١ - محي الدين ابو عبدالله محمد بن يحيى بن فضال
- الشافعي وله اربعة معيدين .

٤ - رشيد الدين ابو حفص عمر بن محمد الحنفى
وله اربعة معيدين .

وأما النائبان فهما :

١ - جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن يوسف بن
الجوزي الحنبلى وله اربعة معيدين .

٢ - ابو الحسن علي المغربي المالكى وله اربعة معيدين

المستشفى من ترى عام

ولم تُعَنَ هذه المدرسة بتدريس العلوم والآداب
فحسب بل كانت مركزاً اجتماعياً خطيراً ، فيها كانت
تقام الدعوات الكبرى ، والولائم الفاخرة للملوك
والأمرء ولوجوه القوم وأعيانهم ، وقد أقيمت فيها
الحفلات الفخمة لمناسبة ختم القرآن الكريم ايضاً .

وقد جاء في كتاب الحوادث الجامعة ^(١) ان نور الدين ارسلان شاه بن عماد الدين زنكي زار الخليفة ببغداد فعمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية ، وحضر اليها وجلس على طرف ايوانها الصغير ، وقرئت الرِّبَعات وقرئت الختمات وذكر المدرسون بها الدروس ثم نهض فدخل دار كتبها ، وجلس بها ساعة .

وأقيمت دعوة أخرى لركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، فجلس على ايوانها ، وقرأ القرآن ، والقي المدرسون الدروس ثم طيف به في رواقها .

قوسية عربية :

كانت المستنصرية جامعاً كبيراً تقام فيها الصلوات

اليومية ، وصلاة الجمع ، والعيدين ، وكان لا يخطب بها إلا خطيب هاشمي عباسي . وفي سنة ٦٧٤ هـ . عين فيها الشيخ محي الدين العباسي خطيباً لصلاة العيدين ، ولم يخطب بها بعد سقوط الدولة العباسية خطيب هاشمي سواه ^(١)

المستنصرية منذ تأسيسها الى الآن

التمكبات التي علمت بها :

اصيبت الكلية المستنصرية في خلافة المستنصر بصاعقة وقعت على رواقها في شباط سنة ٦٣٥ هـ . فشعثت منه موضعاً ^(٢) . وهدّدها الفرق مرتين ولكنها

(١) الحوادث الجامعة ص : ٣٨٥ .

(٢) الحوادث الجامعة ص : ١٠٠ .

نُجِتَ مِنْهُ يَتِيمًا غَرِقَتْ أَكْثَرُ الْحَمَلَاتِ بِجَانِبِي بَغْدَادَ ،
 فِي سَنَةِ ٦٤٦ هـ . نَبَعَ الْمَاءُ مِنْ أَسَاسِ حَائِطِ الْمَدْرَسَةِ
 الْمُسْتَنْصَرِيَّةِ ، وَمِنْ الدَّارِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا ^(١) ، وَمِنْ مَسْجِدِ
 الْحِظَّائِرِ ^(٢) الْمَعْرُوفِ بِأَمِّ النَّاصِرِ - زَمْرَدِ خَاتُونِ - الْمُجَاوِرِ
 لِهَذِهِ الدَّارِ ، وَتَعَذَّرَ مَرُورُ النَّاسِ مِنْ بَابِ سَوِّقِ الْمَدْرَسَةِ ^(٣)
 وَفِي سَنَةِ ٦٥٤ هـ . فَاضَتْ دَجَلَةٌ وَأَغْرَقَتْ جَانِبِي
 بَغْدَادَ ^(٤) وَصَلَّى النَّاسُ عِدَّةَ جَمْعٍ بِالْمُسْتَنْصَرِيَّةِ ، وَكَانَ النَّاسُ

- (١) الْحَقَّتْ بِدَائِرَةِ الْمَكُوسِ ، وَكَانَتْ تَسْمَى دَارَ سَنْقَرَجَا زَعِيمِ
 خُوزِسْتَانَ ، وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ «لَمْ يَرِ مِثْلُهَا أَحَدٌ ، وَلَا لِأَدْرَاكِ وَصْفِهَا أَمْدٌ» .
- (٢) لَعَلَّهُ مَسْجِدُ الْخُفَّافِينَ الْيَوْمَ (٣) الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ ص ٤٣١
- (٤) رَوَى أَنَّ ارْتِفَاعَ مَاءِ الْفَيْضَانِ بَلَغَ مَرَّةً (٦) أَذْرَعَ فِي الْمَدْرَسَةِ
 النَّظَامِيَّةِ . الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ ص ٢٣٣ ؛ وَبَلَغَ أُخْرَى (٤) أَذْرَعَ
 بِالنَّظَامِيَّةِ أَيْضًا ؛ الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ ص : ٣١٨

يحضرون بالسفن فامتألت المدرسة ، وغلق بابها ،
 واتصلت الصفوف في السفن من باب المستنصرية الى
 آخر سوق المدرسة ^(١)

المستنصرية: على عهد التتار

وظلت المدرسة المستنصرية تشع بنورها فتير
 ظلمات الجهل وتبددها منذ تأسيسها الى استيلاء التتار
 على بغداد فعفى عليها الزمن واعتورها الدهر بالتقلبات
 فسلب عزها ، وذر مجدها ، إذ فجعها التتار بتقتيل
 علمائها ^(٢) وتبديد شمل طلابها ، وتغريق كتبها في
 دجلة ، ثم عادوا فأصلحوا بعض ما افسدته ايديهم ، فجددوا
 تطبيق صحنها وتبنييد حيطانها ^(٣) ، وعملوا تحت مسناتها

(١) الحوادث الجامعة ص: ٣١٨ (٢) قتل هولاكو ابن الجوزي وأولاده
 سنة ٦٥٦ هـ. لغة العرب السنة (٥) ج ٧٤٤ (٣) الحوادث الجامعة: ص ٣٦٥

دولاب الماء الذي سر ذكره ؛ وبذلك استرجعت عزها
السليب ؛ ومكانتها الرفيعة، ونهبها المقسم .

المستحصرة بعد التتار

وفي سنة ٧٢٧ هـ - ١٣٢٧ م زارها ابن بطوطة
فأطنب في وصفها وقال : انها تقع في آخر سوق
الثلاثاء الذي كان مركزاً تجارياً على إيامه ، وكانت كل
صناعة فيه على حدة ^(١)

وفي سنة ٧٤٠ هـ . ١٣٢٤ م ذكرها حمد الله المستوفي
الفارسي في كتابه «نزهة القلوب » فقال : إن بناءها من
اجل المباني الباقية ببغداد يومئذ ^(٢)

(١) ابن بطوطة ج ١ ص : ١٤١ و Le Strange P. 268

(٢) Le Strange P.269 & Nuzhat Al Qulub.P.42

وفي سنة ٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م طلب محمد خان
 حاكم بغداد الفارسي الى قبيلته التي كانت تسكن
 بغداد أن تخرج معه للالتحاق بجيوش الشاه في
 خاقين فأبوا عليه ذلك وكانوا زهاء ثلاثة آلاف
 من الشجعان واتخذوا المستنصرية مقراً لعصاباتهم^(١)
 وفي سنة ٩٨٨ هـ - ١٥٨١ م ذكرت انها اجال
 المدارس في مدينة السلام

وفي سنة ١٠٨٤ هـ - ١٦٧٣ م عمر والى بغداد حسين
 باشا السلحدار سوقاً جميلة المنظر عند باب المستنصرية^(٢)
 لا تزال عامرة.

Richard Coke P. 189 (١)

Richard Coke P. 216 (٢)

وفي سنة ١١٤٦ هـ - ١٧٥٠ م زار بغداد الرحالة
الاماني نيبور Niebuhr فرأى مطبخ المستنصرية محلاً
للوزن والقياسة ^(١) ونسخ عنه كتابة هذا نصها: ^(٢)

« قد امر بإنشاء هذه المدرسة الشريفة لطلاب العلم وتسمى
المدرسة العظمى (من مكن) دجلة العز وأُسعد الخلائق (بـ)
الحجة البيضاء (الحظي) عند الله وخليفته في أرضه الخليفة
أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين امتنع الله المسلمين
باعزاز سلطانه وأيد دولته بطول حياته وذلك سنة ستماية ^(٣) وثلاثين»

المستنصرية «فانه»

وفي سنة ١١٩٣ هـ - ١٢١٧ هـ . عندما ولي أبو
سعيد سليمان باشا ولاية بغداد حوّل المستنصرية الى خان
وجعله وقفاً على مدرسته التي تعرف اليوم بالمدرسة السلمانية

(١) Le Strange P. 269 (٢) المشرق السنة ١٠ ص: ٣٩٣

(٣) كذا ولعلها ثلاثين وستماية

المتصلة بجامع النعمانية ومسجد نجيب الدين الواقعين شرقي
المدرسة الثانوية المركزية اليوم .

وفي سنة ١٢٥٧ هـ - ١٨٤١ م جاء بغداد الرحالة
الانكليزي بيلي فراسر Baillie Fraser فرأى المستنصرية
داراً للمكس^(١)

وفي سنة ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٧ م جاء فيلكس جون
Felix Jones فرأى بقايا المستنصرية من جملة الآثار
المهمة^(٢)

وبعد ان بقيت المستنصرية خاناً رَدَحاً من الزمن
استأجرها المجلس العسكري وأسكن فيها كتيبة من

Richard Coke P. 267 (١)

Le Strange P. 349 (٢)

جنود الموصل ، ومن ذلك العهد سميت : « خان المواصله »
وأقام فيها الجند حقبة ثم غادروها وتركوا فيها بعض
عتادهم ومعداتهم ، وكانت إذ ذاك دائرة الوقف تتقاضى
الاجرة من دائرة التجنيد .

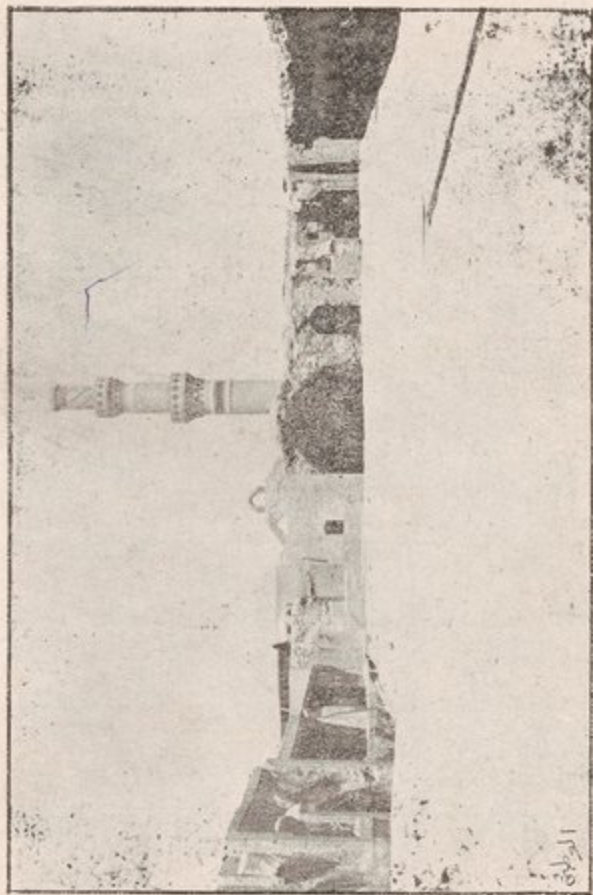
ولما أهملت دائرة الاوقاف هذه المؤسسة تجرأت
دائرة التجنيد على بيعها سنة ١٣١١ هـ - ١٨٩٥ م لدائرة
الرسومات بثمان بئس فأصبحت مخزناً لبضائع دائرة
المكوس . وصر على البيع (١٨) سنة ودائرة الاوقاف
ساكتة غافلة مغرقة في غفلتها ، ثم أفاق من سباتها سنة
١٣٢٩ هـ - ١٩١٢ م فرفعت الدعوى مطالبة بردها اليها
وشهد خمسون شاهداً عدلاً بأن الوالى سليمان باشا



صورة (٧) منظر عام للمستنصرية قبل الحرب العظمى
 يبين حالة القسم الغربى منها

وقفها على مدرسته المعروفة بالسليمانية فحكم القاضي
بردها وقفاً .

وقد زار اطلاقها المغفور له جلالة الملك فيصل
الاول وأقيم فيها احتفال مهيب انطلقت فيه السن
الشعراء بالقصائد طالبين اليه بعث هذا المعهد العلمى
الجليل وإحياءه . وفى سنة ١٣٤٤ هـ طالبت الاوقاف
ببديل اجارتها أو تسليمها فامتنعت وزارة المالية بحجة
انها ملك صرف لها ، فرفعت الاوقاف الدعوى عليها
فى المحكمة الشرعية فشهد بوقفها جماعة من افاضل بغداد
وأعيانها وأبرزت الوثائق الرسمية ، فردت دعوى
الاوقاف . ثم ميزت الاوقاف هذا الحكم فأحيلت
الدعوى الى محكمة سامراء الشرعية فعكمت للاوقاف .



صورة (٨) منظر عام للمستنصرية بعد الحرب العظمى

الكتابات التي على جدران المسقضية

كان مكتوباً على جدارها المطل على النهر كتابة لا يزال آخرها في المقهى المجاور لدائرة «الكرك» عند رأس الجسر القديم هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . هذا ما أمر بعمله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين . الذي طبق البلاد احسانه وعدله ، وغمر العباد بره وفضله أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ، قرن الله تعالى اوامره الشريفة بالنجح واليسر وجنوده بالتأييد والنصر وجعل لآيامه المخلدة

جداً لا يكبو جواده ولا رآه الممجة سعاداً لا يخبو زاده
 في عز تخضع له الأقدار فيطيعه عواصيها وملاك تخضع له
 الملوك فيملك نواحيها، وذلك في سنة ثلاثين وستماية، وصلى
 الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعترته وسلم تسليماً .
 وكان مكتوباً على بابها الجنوبي ما يأتي :

«بسم الله الرحمن الرحيم قد أنشأ هذا المحل رغبة في
 إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وطلباً للفوز بجنات
 الفردوس التي أعدّها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات تزيلاً
 وأمر أن تجعل مدرسة للفقهاء على المذاهب الأربعة سيدنا
 ومولانا إمام المسلمين وخليفة رب العالمين أبوجعفر المنصور
 المستنصر بالله أمير المؤمنين شيد الله تعالى معالم الدين
 بخلود سلطانه وأحيا قلوب أهل العلم بتضاعف نعمه وإحسانه
 وذلك في سنة ثلاثين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله»



صورة (٩) - الكتابة التي على باب المستنصرية الجنوبي وهي منقوشة على
 الآجر ، اقلعتها دائرة الآثار العراقية وضمتها الى آثار المتحف ومما هو
 جدير بالملاحظة تلك الزخرفة المعجبية الموجودة في قاع هذه الكتابة •

كتابة المستنصر المصنف

في الطابق الثاني من المستنصرية في الجهة الشمالية منها

[بسم الله الرحمن الرحيم إنما يخشى
الله من عباده [العلماء ام] ر بإنشائه طلباً
لله (وز الذي يعمل لمثله العاملون وتحريضاً على فضله
ربه تعالى هر سو بحر الدين) [..... أبى
جعفر المنصه] ور المستنصه (ر بالله أمير المؤمنين ادا
الله اعتصام الاسلام بحبله المتين)^(١)

(١) ما كتب بين قوسين على هذا الشكل () فهو باق الى اليوم وما كتب
بين علامتين على هذا الشكل [] فهو من زيادات هر تسفد الالمانى .

كتاب السلطان عبد العزيز فاه العثماني سنة ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م

على جدار « الكمرك » المطل على النهر

ما شاء الله كان . بسم الله الرحمن الرحيم .
 وليكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . قد
 كان انشىء هذا البناء في ايام خلافة عبد الله أبو
 جعفر المنصور المستنصر بالله العباسي في سنة ثلاثين
 وستاية وقد تجدد تعميره في زمن خلافة ظل الله
 الأعظم الممدود ظل رأفته على مفارق الأمم
 مجدد قوانين اجداده العظام سلاطين آل عثمان ، مجدد
 جهات العدل والاحسان السلطان بن السلطان حضرة

السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان الغازي محمود خان لا
 زالت البلاد بعدلته معمورة ولا برحت العباد بفيض إحسانه
 معمورة آمين وصلى الله على سيدنا محمد الأئمين وعلى آله
 وصحبه أجمعين وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانين والـ ألف
 كتبه المذنب بكر الصدقي عفي عنه »

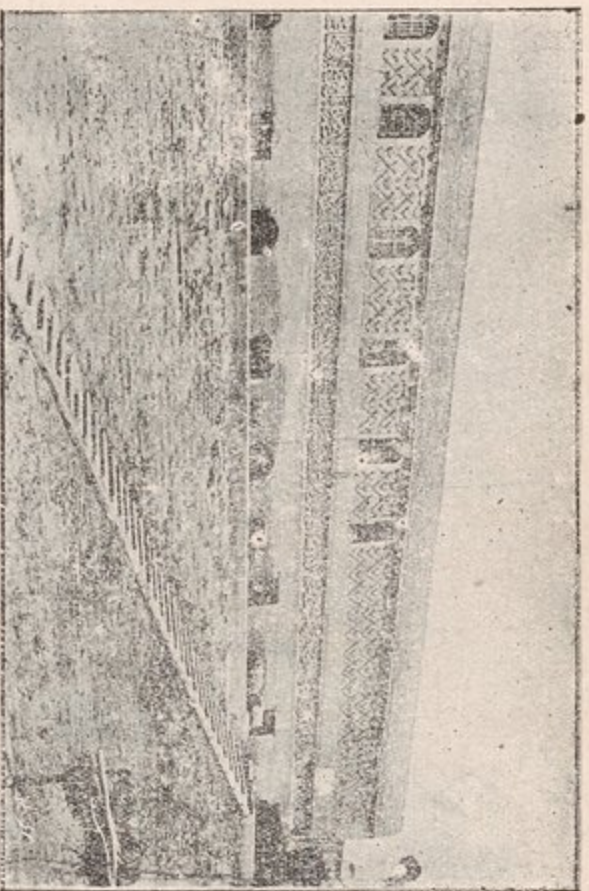


حالة المستنصرية اليوم

لقد فدحها الجهل ، وقوّض مرافقها الظلم ، وخلت ربوعها من العلم ، وأقفرت أواوينها من العلماء ، واتخذت داراً للمكس ، ولم يبق من ابديتها اليوم الا أقلها ، وأكثرها اغتصبه المغتصبون فأصبح مرافق لهم .

جنوبها رصيف « الكمر ك » الذى يمتد على طولها وينتهي من جهته الغربية بمقهى فيه جملة من الكتابة القديمة قد أحدث فيها المقهى ضرراً بالغاً .

ووراء الرصيف جدار مرتفع بارتفاع طابقي المدرسة فيه كثير من الأبواب الحديدية ركبت فى مداخل تنفذ الى غرف عديدة . وفى وسطه باب المدرسة الكبير اذا

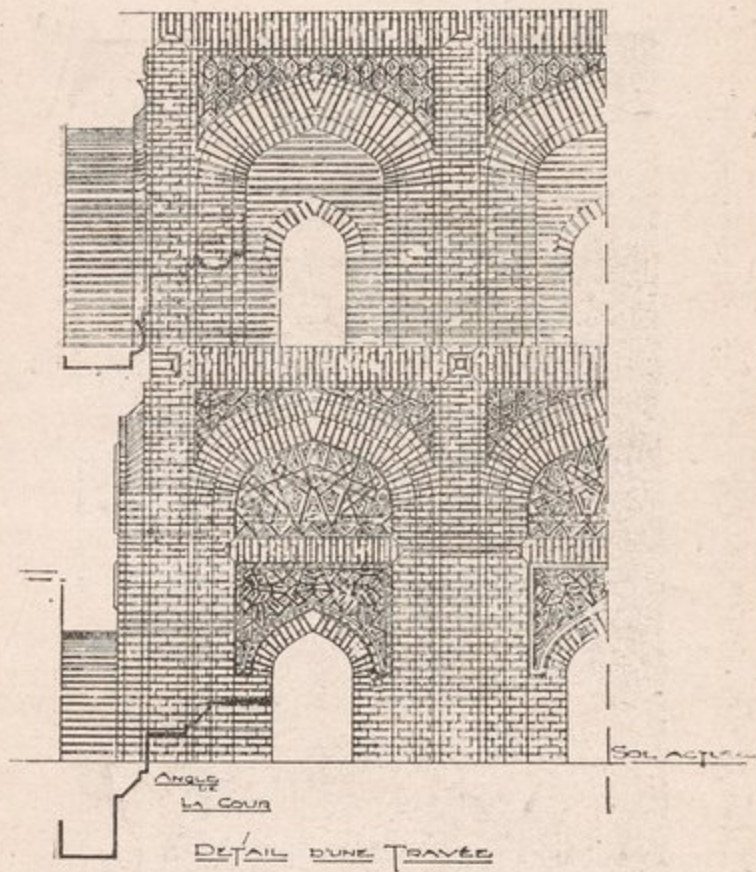


صورة (١٠) - منظر جهة المستعصرية بالحالة على النهر «رصيف الكرك» وعليها
 كتابة من عهد السلطان عبد العزيز خان ١٢٨٢ هـ - ١٢٩٥ م .

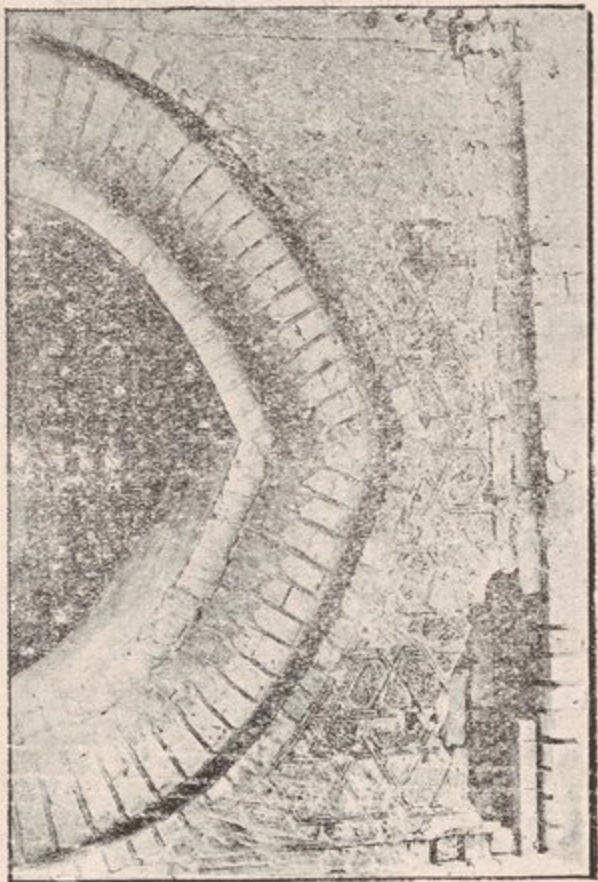
دخل منه الداخل رأى حوشاً طوله ٦٣ متراً وعرضه
 ٢٦ متراً فيه صناديق التجار وبضائعهم . ولـهـ
 العمارة باب آخر موحد من جهة السوق مقابل للباب الأول .
 وفي المستنصرية اليوم غرف ومبانٍ متعددة ليس فيها
 شئ من آثار الزخرف أعد بمضها للبضائع التجارية ،
 والبعض الآخر خالٍ إلا من الاقدار والالوساخ .

الطابق الأعلى من المدرسة

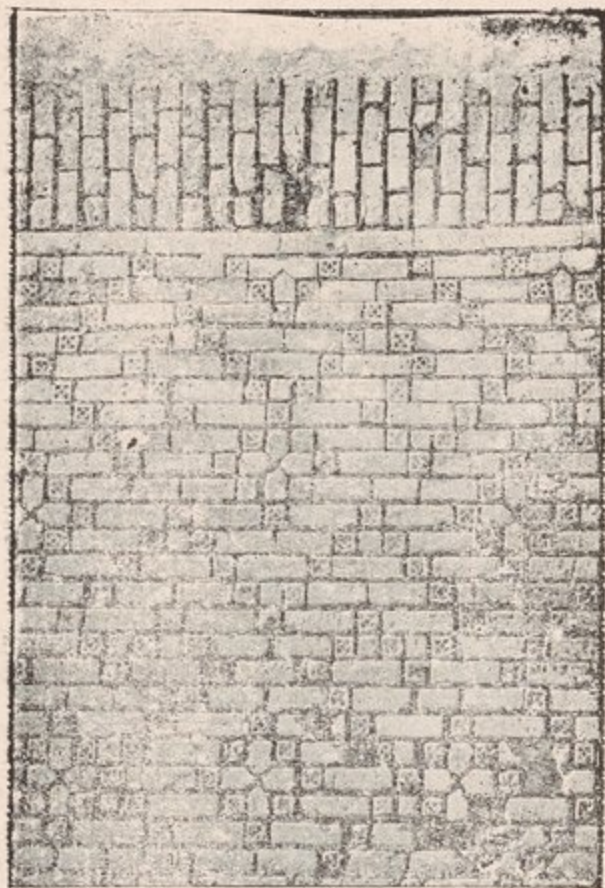
لا يوجد اليوم سلمٌ قديم يرقى لبلوغ الطابق الثاني
 بل جل ما هنالك سلم خشبي ساذج ركب في فتحة في
 الجدار المطل على النهر . ووضع الطابق الثاني مشابه
 تماماً للطابق الأول فيه غرف عديدة أهمل أكثرها



صورة (١١) - منظر تصوري لطابق المستنصرية وزخارفها.



صورة (١٢) - منظر الزخارف التي تزين جهة إحدى المنيا في الدابق الأعلى.



صورة (١٣) - منظر زخارف الآجر التي تزين القسم الخلفي لاجد
جدران الطابق الاعلى من الجهة الشرقية •

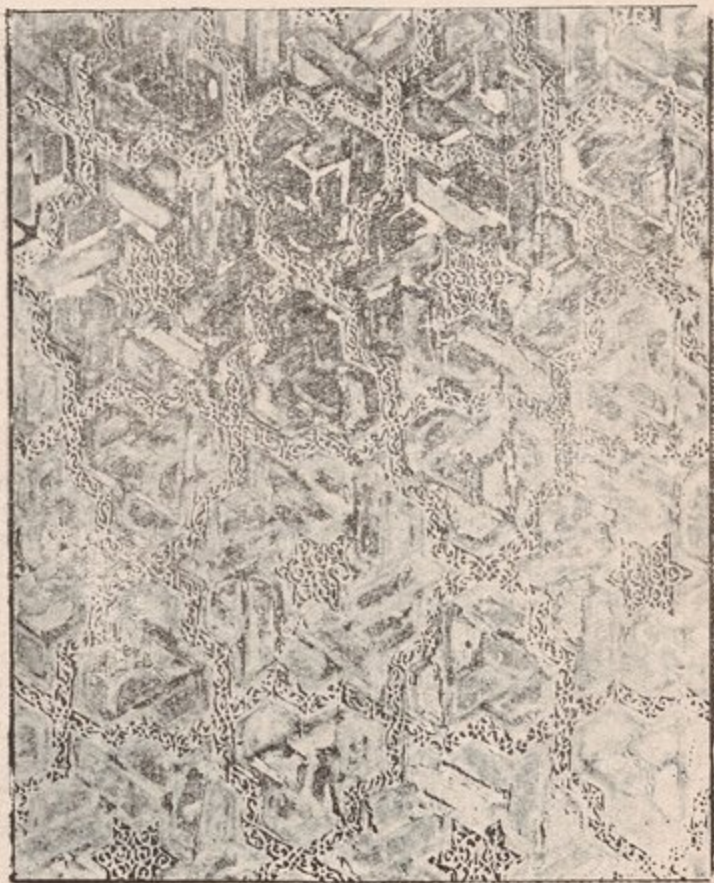
وأعد بعضها الآخر لسكنى الحمالين التابعين الى دائرة
العكوس .

زخارف الطابق الأعلى :

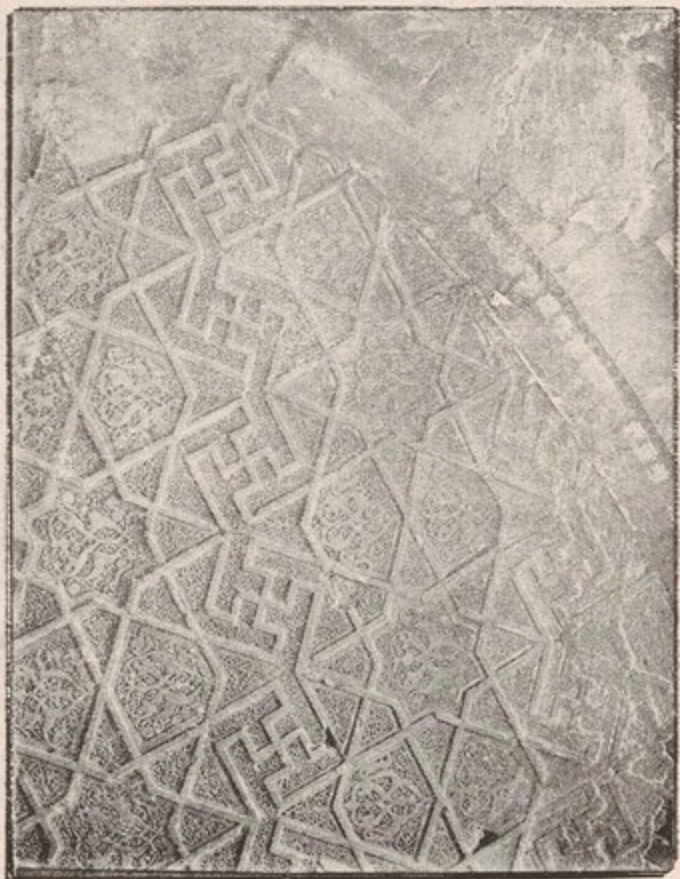
اما الزخارف في الطابق الأعلى فلم يبق لها أثر
إلا في بقايا حنية صغيرة من الحنايا الواقعة على يمين
الداخل من الباب الكبير . والا في قاع المكتبة
المشوهة الكائنة على الجدار الشمالي من جهة «سوق
المهرج» ، وكذلك بعض الزخرفة البسيطة في أعلى الجدار
الشرقي المطل على جامع الخفافين .

اروين المدرسة :

إذا دخل الداخل باب المستنصرية الكبير من جهة



صورة (١٤) - منظر زخارف الايوان الشرقي.



النهر رأى أمامه وعن يمينه وشماله ثلاثة اواوين كبرى
أما الأول فلم يبق فيه من أثر الزخرف شئ. يذكر
سوى آجرة أو آجرتين. اما الثانى والثالث فهما يتصلان
بسلسلة من الغرف والمجازات والقاعات. وقد أعد
الايوان الشرقى منها لوضع المشروبات الروحية. اما الغربى
فقد اتخذ حانوتاً لعمل الكعك و « الكاهي » وبيعهما
وقد طمس الدخان معالم كثير من زخارفه البديعة، وكان
هذا الخطب الفادح حافزاً لمديرية الآثار فسعت لانقاذ
هذا إايوان العجيب من أيدي الدمار والخراب فأُنقذته
بعد جهد عظيم وجعلته من جملة آثارها النفيسة .

زخارف الاواوين

ان جميع الزخارف والسقوف والعقادات فى المستنصرية



صورة (١٦) - منظر زخارف وجه الايوان الغربي



صورة (١٧) - منظر الزخرف الجانبي للأيوان الغربي



صورة (١٨) - منظر نطلق من الزخارف الكائنة بين الزخارف الجانية والزخارف

عملت من الآجر . واكبر هذه العقود عقادتا الايوانين
 المذكورين وهما حافظتان بأنواع الزخارف الاجرية التي تعد
 من أرق أنواع الزخرفة لأنها تمثل اشكالاً هندسية متقنة
 ونقوشاً زهرية جميلة جداً جادت بها قريحة الفن
 المعماري الإسلامي في القرن السابع للهجرة .

بقية مرافق المدرسة

ليست هذه المرافق هي كل ابنية المدرسة المستنصرية بل ان
 ما ذكر هو قلٌّ من كَثُرٍ من ابنتها الضائعة، فقد اغتصبت
 منها مبان كثيرة اشهرها اليوم «سوق الرماح ، وسوق
 دانيال ، وسوق الموخانة ، وقهوة المعيز» ^(١) وغير ذلك .

هذه يا ابناء العروبة لمحة موجزة تكشف لكم
 عما آلت اليه هذه الكلية الكبرى من تصدع بنيانها
 واغتصاب مرافقها ، وتدنى كرامتها ، وضياع اوقافها .
 وقد آن لنا أن نهيب بمديرية الأوقاف في هذا
 اليوم الذي علا فيه صوت الشعبوية ان تجدد بعض
 مفاخر اسلافنا فتخلي هذه العمارة من البضائع التجارية
 وترمم المائل منها للانهدام ، وتجعل منها متحفاً جليلاً
 للآثار الاسلامية او مدرسة للعلوم والآداب ، أو
 مكتبة تضم شتات الكتب وبذلك تسترجع هذه
 المدرسة العظيمة بعض ما كان لها من عز وسؤدد .

مصادر الرسالة

- ١ — كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة
تأليف: كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي
البغدادى . طبع سنة ١٣٥١ هـ بمطبعة الفرات ببغداد
- ٢ — تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة
تأليف: جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر بن محمد
السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ
طبع سنة ١٣٥١ هـ بالمطبعة المنيرية بمصر .
- ٣ — تاريخ مساجد بغداد وآثارها
تأليف: محمود شكري الآلوسي البغدادى
طبع سنة ١٣٤٦ هـ بمطبعة دار السلام ببغداد

٤ — رحلة ابن بطوطة المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار
وعجائب الاسفار

طبع سنة ١٣٤٦ هـ بالمطبعة الأزهرية بمصر

٥ — خلاصة الذهب المسبوك في سير الملوك

تأليف . الشيخ عبدالرحمن الأربلي .

طبع سنة ١٨٨٥ م بمطبعة مار جرجس ببيروت

٦ — التريفة عند العرب

تأليف : خليل طوطح

طبع بالمطبعة التجارية بالقدس

٧ — الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية .

تأليف محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي

طبع سنة ١٣٤٥ هـ بالمطبعة التجارية بمصر .

٨ — صبيح الأعشى ج ٥ للعلامة شندى طبع بمصر .

٩ — الكامل لابن الاثير ج ١٢ طبع بمصر .

- ١٠ - التمدن الاسلامي ج ٣ تأليف جرحي زيدان . طبع مصر .
 ١١ - مجلة المشرق السنة العاشرة ص ٣٩١ - ٣٩٣ والسنة
 الخامسة ص ١٦٤ - ١٦٦ طبع المطبعة اليسوعية
 بيروت .

- ١٢ - مجلة لغة العرب السنة الخامسة ج ٤ ، ٧ طبع بغداد
 ١٣ - مجلة اليقين طبع بغداد سنة ١٣٤٢ هـ ص ٤٨٩ - ٤٩١
 ١٤ - مجلة المعلمين السنة الثانية طبع بغداد سنة ١٣٤٤ هـ
 ص ٣٧٩ - ٣٨٨ .

- ١٥ - نزهة القلوب : تأليف حمد الله المستوفي الفارسي ، وهو
 منقول الى الانكليزية .

16 - Baghdad During The Abbasid Caliphate

By Le Strange.

طبع لندن

17 - Baghdad The City Of Peace

By Richard Coke.

طبع لندن



محتويات الرسالة

الصفحة

المقدمة	٣
المستنصرية كما وصفها عبد الرحمن الأربلي في كتابه « خلاصة الذهب المسبوك »	٤
التعليم عند العرب	٦
مدارس بغداد في العصر العباسي	٨
المستنصر بالله أبو جعفر	١٣
وفاة المستنصر	١٦
عصر المستنصر	١٧
اعمال المستنصر العمرانية	١٨

الكتابة التي على قنطرة مربي ٢١

المدرسة المستنصرية

موقعها و بناؤها ٢٣

افتتاحها ٢٦

ما قيل فيها يوم افتتاحها : قصيدة الحسين الكوفي ٢٨

قصيدة ابن أبي الحديد الشافعي ٢٩

محتويات المدرسة المستنصرية ٣٣

اوقاف المدرسة المستنصرية ٣٤

مكتبة المدرسة المستنصرية ٣٥

ساعة المدرسة المستنصرية ٣٨

وصف عبد الرحمن ابن الجوزي للساعة ٤٠

نظام المدرسة المستنصرية ٤٣

طريقة التعليم في المستنصرية ٤٨

اول اساتذة المستنصرية	٥١
المستنصرية منتدى عام	٥٢
قومية عربية	٥٣
المستنصرية منذ تأسيسها الى الان	٥٤
النكبات التي حلت بها	٥٤
المستنصرية على عهد التتار	٥٦
المستنصرية بعد عهد التتار	٥٧
المستنصرية « خان »	٥٩
المستنصرية كما رآها ببلي فراسر وجون فيليكس	٦٠
المستنصرية « خان » للمواصلة	٦١
بيع المستنصرية الى دائرة الرسومات	٦١
زيارة المغفور له الملك فيصل لها	٦٣

الصفحة	الكتابات التي على جدران المستنصرية
٦٥	الكتابة التي على جدارها المطل على النهر
٦٦	الكتابة التي على بابها الجنوبي
٦٨	كتابة المستنصر المشوهة في الطابق الثاني المطل على « سوق الهرج »
٦٩	كتابة السلطان عبد العزيز خان العثماني على جدارها المطل على النهر
٧١	هانة المستنصرية اليوم
٧٤	الطابق الاعلى من المدرسة المستنصرية
٧٧	زخارف الطابق الأعلى من المدرسة
٧٧	اواوين المدرسة المستنصرية
٨٠	زخارف الاواوين
٨٤	بقية مرافق المدرسة المستنصرية
٨٦	المصادر

صور الرسالة

الصفحة

صورة خيالية للمدرسة المستنصرية زمن عمرائها	٥
منظر عام لقنطرة حربى فى الوقت الحاضر	٢٠
صورة أخرى لقنطرة حربى	٢٢
تصميم للمدرسة المستنصرية « عن هرتسفلد »	٢٤
تصميم آخر للمستنصرية	٢٤
ساعة المستنصرية « عن الهلال »	٤١
منظر عام للمستنصرية قبل الحرب العظمى	٦٢
منظر عام للمستنصرية بعد الحرب العظمى	٦٤
صورة الكتابة التى على باب المستنصرية الجنوبي	٦٧
منظر جهة المستنصرية المطلة على النهر « رصيف الكمرك	٧٢
منظر تصوري لطاقي المستنصرية وزخارفها	٧٤

منظر الزخارف التي تزين جهة إحدى الحنايا في الطابق الأعلى	٧٥
منظر زخارف الأجر التي تزين القسم الخلفي لأحد جدران الطابق الأعلى من الجهة الشرقية	٧٦
منظر زخارف الأيوان الشرقي	٧٨
منظر آخر لزخارف الأيوان الغربي	٧٩
منظر زخارف وجه الأيوان الغربي	٨١
منظر الزخارف الجانبية للأيوان الغربي	٨٢
منظر نطاق من الزخارف الكائنة بين الزخارف الجانبية والزخارف التي في وجه الأيوان الغربي	٨٣



DATE DUE



370.9567:M35mA:c.1

معروف، ناجي

المدرسة المستنصرية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01022030



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

370.9567
M35mA